العرب
الخميس 2021/10/21
السنة 44 العدد 12216

انشقاقات وحقد طبقي وراء مقتل أبومصعب البرناوي زعيم داعش في غرب أفريقيا

خلافات المتشددين العرب مع نظرائهم الأفارقة تقود إلى العديد من التصفيات الجسدية

جاء مقتل أبومصعب البرناوي زعيم تنظيم داعش ولاية غرب أفريقيا والذي ما يزال يلفه الكثير من الغموض ليكشف خفايا ما يحصل داخل التنظيم من انشقاقات وخلافات بين المقاتلين العرب ونظرائهم الأفارقة، والتي زادت وتيرتها مؤخرا مع تفعيل الحكومة النيجيرية برامج الدعم الموجهة للمقاتلين المنشقين، وكيف أصبح التنظيم يتحرى التخلص من قادة الجهاديين المؤثرين من الأفارقة مقدمًا عليهم قادة من العراقيين ومن أصول عربية.

الخلافات تعصف بتنظيم داعش

هشام النجار
كاتب مصري

القاهرة – أعاد الإعلان عن مقتل زعيم تنظيم داعش في غرب أفريقيا أبومصعب البرناوي إلى الواجهة ما يدور داخل التنظيم من تفاعلات وصراعات، خاصة وأن الرجل سقط بعد مقتل غريمه ومنافسه أبوبكر شيكاو.

ويلف الغموض هذه المسألة برمتها لأنه من المفترض أن يكون البرناوي قد اكتسب نفوذًا ومنعة بعد التخلص من أشرس منافسيه في يونيو الماضي الذي فجر نفسه بعد حصاره من قبل مجموعة موالية للبرناوي.

ولا يوجد فهم منطقي لهذه التطورات سوى بالوقوف على ما يدور من نزاعات داخلية وانشقاقات مركبة ومتعاقبة تبيّن أنه يجري استغلالها من قبل حكومات دول غرب أفريقيا بغرض إضعاف التنظيمات الجهادية وشق صفوفها وإغراء عناصرها لتركها.

فك وتركيب تنظيمي

بات من المؤكد أن عددًا من مقاتلي بوكو حرام السابقين من الذين انتقلوا لاحقًا بعد يونيو الماضي، وهو تاريخ تفجير شيكاو نفسه، قرروا قطع التعامل مع كل من بوكو حرام وداعش، وسلموا أنفسهم للأجهزة الأمنية بأسلحتهم وفقًا لتقارير السلطات النيجيرية.

وأسهم في ذلك ما حدث من تحولات في أساليب تعامل الحكومة مع المنشقين من معاملة قاسية في السابق وصلت إلى درجة تنفيذ إعدامات دون محاكمة، فضلًا عن ظروف اعتقال وحشية، وأدت هذه الحالة إلى الترحيب واحتواء وتطبيق خطط دمج المقاتلين المنشقين في مجتمعاتهم.

> داعش انقسم إلى جناحين متصارعين أحدهما يكثف عملياته الخاصة غرب أفريقيا مستفيدا من الثروات التي يهيمن عليها

وشجع تغير معاملة حكومة نيجيريا مع المنشقين عن داعش وبوكو حرام على الانشقاق وزاد من وتيرة حركة الخروج، لكن الأسباب الحقيقية للانشقاق كامنة داخل التنظيمات ومرتبطة بجملة من الإشكالات المركبة التي كابدها المسلحون في انتقالاتهم من جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد إلى تنظيم داعش في ولاية غرب أفريقيا.

وقبل تلك الانتقالات راجع الكثيرون قناعاتهم السابقة من منطلق الشعور بالذنب نتيجة اقتراف جرائم مبنية على فهم مغلوط لنصوص الدين، علاوة على الشعور بمظالم التهميش والتمييز الطبقي والتفريق بين من هو مقاتل أجنبي ومن هو من أصول أفريقية ويتحدث بلغة غير العربية، ومن هو عربي ومن أصول عربية.

سيناريوهات البرناوي

التسلسل الطبيعي للأحداث هو أن يعزز أبومصعب البرناوي وهو الزعيم الأقل تشددًا وأكثر ليونة مع المدنيين سيطرته وهيمنة مجموعته المسلحة في شمال شرق نيجيريا ومنطقة بحيرة تشاد بعد التخلص من مبعث الانشقاقات والخلافات الداخلية التي كانت تحتدم نتيجة سلوك أبوبكر شيكاو ومجموعته الدموية حيال المدنيين والفتيات.

وما وجده المنشقون والمنتقلون من جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد في داعش في نسخته المرنة بقيادة البرناوي من بناء علاقات جيدة مع المدنيين ومنع الهجمات ضدهم وضد مصالحهم ومصادر أرزاقهم والتركيز فقط على تنفيذ هجمات ضد قوات الجيش، لم يكف لدفعهم إلى الاستقرار في كنف جناح داعش بغرب أفريقيا، حيث وجدوا فيه ما جعلهم ينفرون منه ويخططون لتركه.

وخلال الأشهر القليلة الماضية بعد مقتل أبوبكر شيكاو تبدلت الأوضاع في شمال شرق نيجيريا التي صارت تحت سيطرة داعش، وهناك من المسلحين من انتقل إلى داعش ثم تركه في الأخير مستفيدًا من برامج الدمج والاحتواء الحكومي، ومنهم من ظل يقاتل مع التنظيم خاصة في المنطقة الشمالية لبحيرة تشاد الواقعة على الحدود بين النيجر وتشاد، واستمروا في السير على نهج شيكاو للحفاظ على مواقعهم القيادية ومصادر معيشتهم السابقة من عمليات النهب والسلب.

ولا يخرج قتل أبومصعب البرناوي الذي لم تُذكر بعد تفاصيله وملابساته عن إحدى سيناريوهين: الأول أن يكون سقط في مواجهة مع جيب من الجيوب المتبقية لبوكو حرام، والثاني أن تكون هناك معلومات قد وصلت لقوات الجيش النيجيري عن مكانه وتفاصيل دقيقة عن تحركاته من بعض المنشقين الذين هربوا من بوكو حرام ومن داعش معًا وسلموا أنفسهم للقوات العسكرية النيجيرية هربًا من تردي أوضاعهم المعيشية وفقدانهم لمراكزهم القيادية ومعاناتهم من الاستعلاء والتمييز الطبقي على أساس اللغة والجنسية.

وازداد حجم الانشقاقات داخل بوكو حرام أولًا وداخل تنظيم الدولة بولاية غرب أفريقيا ثانيًا بعد تفعيل برامج الدمج الحكومي للمنشقين وضمان عدم إيذائهم وإلحاق الضرر بهم، حيث وجدوا أخيرًا الملاذ الذي ينقذهم من تبعة ارتكاب جرائم مروعة عبر تلبيسها بأقنعة دينية زائفة، ومن حرمانهم من مراكزهم ومواقعهم القيادية من منطلق تمييز طبقي بين من هو أفريقي لا يتحدث العربية وآخر شرق أوسطي يتحدث العربية ومن أصول عربية.

وأوصل تمييز تنظيم داعش لعناصره العراقيين عن الأجانب وشرهه في السيطرة على الثروات في المجتمعات الأفريقية إلى رواج وصحوة في أوساط الكيانات الجهادية الإثنية للدفاع عن مصالحها ومنع كيان غريب عن أفريقيا من الاستحواذ على ثروات بلدانها.

ويُرجح أن تكون استراتيجية داعش في حرمان الأجانب والأفارقة بكل الطرق الممكنة من أي مناصب قيادية دافعًا مضافًا للإيقاع بأبومصعب البرناوي، وهي ذاتها محور عملية قتل أبوبكر شيكاو، حيث أثبتت الوقائع تحري داعش التخلص من قادة الجهاديين المؤثرين من الأفارقة داخل الساحات الأفريقية، مقدمًا عليهم قادة من العراقيين ومن أصول عربية.

وفي مواجهة الانتقادات المتزايدة للعرب المنتمين لداعش وتحديدًا العراقيين شن عدد من المنتمين للتنظيم حملة تشويه بحق القادة غير العرب والأفارقة بهدف تخفيف الضغوط ومحاولة اكتساب شرعية الحضور التي يحاول الجهاديون الإثنيون والأفارقة نزعها ومن ضمنهم البرناوي.

وزعم منظرو داعش أنهم ليس باستطاعتهم "تحرير المسلمين من الكفار في أفريقيا من دون ردع المقاتلين الأجانب الذين يدمرون مخططاتنا ويقتلون النساء المسلمات مع أولادهن في المخيمات ويلحقون الأذى بالمدنيين، فيما نقتل نحن الجنود ونستولي على أغراضهم دون المساس بالمدنيين الذين يدعموننا ويثنون على محاربتنا للعسكريين".

ووراء محاولات داعش العراقي والقادة العرب داخل التنظيم الحط من قدر العناصر الأجنبية ومن أصول أفريقية وتتحدث بلغة غير العربية هدف رئيسي وهو نزع الشرعية عن الأجانب بالتنظيم، والإطاحة بهم لفتح الطريق أمام التوسع في ساحات أرحب بأفريقيا والاستيلاء على موارد الحركات الجهادية المحلية بتلك المناطق وإخضاعها لأجندة داعش العراقي وعدم منح الفرصة للجهاديين المحليين لمقاومة تلك الخطط استنادًا إلى الانتماء المحلي والدعم الجماهيري.

أجنحة متصارعة

روج القادة الجهاديون الأفارقة لخطاب ورواية طبقية مضادة لتلك التي يروجها قادة داعش العرب بشأن مزاعم التفوق الطبقي لقادة وعناصر التنظيم من أصول عراقية على من سواهم من المنتمين إلى جنسيات وأصول أفريقية.

ونتيجة بحث داعش عن مناطق جديدة للتمركز والتوسع في أفريقيا وغيرها بعد فقدانه لخلافته في العراق انقسم التنظيم تدريجيًا إلى جناحين متصارعين، أحدهما يكثف من عملياته خاصة في غرب أفريقيا ويوسع من أنشطته عبر فرعيه الرئيسيين "ولاية غرب أفريقيا" و"تنظيم داعش في الصحراء الكبرى"، مستفيدًا من الثروات التي يهيمن عليها وعدم وجود مؤسسات أمنية قوية وانتشار الفقر والفساد والتوترات العرقية وتواضع مستويات الجهود المبذولة لمجابهة الجماعات المسلحة أمنيًا واستخباراتيًا.

وضم هذا الجناح لداعش الكثير من العناصر العراقية والسورية ممن يمتلكون قدرات وخبرات عسكرية متطورة ويعتنقون أيديولوجيا الجهاد العالمي العابر للحدود، وهؤلاء نتاج مرحلة هزيمة تنظيم الدولة في العراق والموصل حيث تدفق بعدها أكثر من خمسة آلاف مقاتل أجنبي غالبيتهم عرب لديهم الخبرة في المعارك على الجبهات وصلوا إلى ليبيا ومنها إلى البلدان الأفريقية، وهو ما فسر ازدياد أعداد المقاتلين العرب المنضمين إلى داعش في غرب أفريقيا والصحراء الكبرى وباقي أفرع داعش كما في الموزمبيق وجمهورية الكونغو الديمقراطية.

وفي موازاة هذا الجناح لداعش بأفريقيا طرحت الكيانات الجهادية المحلية نفسها كمدافعة عن الثروات والموارد المحلية، ويتضح التباين داخل داعش من منطلق الصراع على السلطة والمال والنفوذ والتحكم بمفاصل اللعبة على الأرض لا من خلال عمليات أمنية واشتباكات فحسب، إنما يتجاوز ذلك إلى تثبيت الهويات والإثنيات والتمحور حولها، وتطبيق قواعد تهدد مصالح القوميات المحلية ولا تحترم تقاليدها وتتوخى حرمان فرص حيازة النفوذ من منطلقها عبر تهميش القادة الأفارقة أو إزاحتهم من المشهد.

بوكو حرام تعيد انتشارها تجنبا للمواجهة مع داعش والجيش النيجيري

أبوجا – تطرح التحولات الدرامية المتسارعة التي يشهدها تنظيم بوكو حرام بعد مقتل زعيمه أبوبكر شيكاو في مايو الماضي في هجوم لداعش ولاية غرب أفريقيا واستسلام آلاف العناصر من بوكو حرام للجيش النيجيري خلال الأشهر الأخيرة، تساؤلات حول مستقبل هذا التنظيم وهل ستؤول هذه التغيرات إلى اندثاره أم أنها ستدفعه إلى البحث عن مساحات جديدة للنشاط خارج معاقله التقليدية في شمال شرق نيجيريا؟

ويُعدّ هجوم داعش غرب أفريقيا على معقل بوكو حرام في غابة سامبيسا بولاية بورونو (شمال شرق)، في مايو، نقطة تحول رئيسية في طبيعة الصراع بين التنظيمين، خاصة بعد تفجير أبوبكر شيكاو نفسه حتى لا يقع أسيرا في يد داعش.

وشكّل مقتل شيكاو، الزعيم الأبرز لبوكو حرام منذ 2009، صدمة كبيرة للتنظيم الذي كان يسيطر على أجزاء واسعة من ولاية بورنو، وحوض بحيرة تشاد الذي تتقاسمه أربع دول (نيجيريا، تشاد، الكاميرون والنيجر) إلى غاية انضمامه لداعش في 2015.

واختار داعش أبومصعب البرناوي الذراع اليمنى لشيكاو، على رأس ولاية غرب أفريقيا، الأمر الذي رفضه الأخير، ما أدى إلى انشطار بوكو حرام إلى نصفين. وتمركز شيكاو في غابة سامبيسا جنوبي بورنو، بينما تمركز البرناوي وعناصر داعش في منطقة "بحيرة تشاد"، التي بقي بوكو حرام يسيطر على أجزاء منها.

واشتعل القتال بين التنظيمين الإرهابيين منذ 2016 حيث تمكنت بوكو حرام من السيطرة على معظم القرى والبلدات على ضفاف بحيرة تشاد من جهة نيجيريا إلى غاية 2019. لكن التوازن اختل في مايو 2021 بعد مقتل شيكاو واقتحام داعش معقل بوكو حرام في سامبيسا، واستسلام آلاف العناصر من بوكو حرام لجيش نيجيريا.

وبحسب معهد الدراسات الأمنية الأفريقي فإن عناصر داعش وتنظيم ولاية غرب أفريقيا، يفضلون استخدام طريق "ليبيا – الجزائر – مالي – النيجر – نيجيريا"، بدلًا من الممر المباشر (والأقرب) بين ليبيا والنيجر ونيجيريا.

وهذا أحد الأسباب التي توضح لماذا خسرت بوكو حرام معركتها ضد داعش غرب أفريقيا، خاصة بعد اكتمال القوس الرابط بين فروع داعش في ليبيا ومالي والنيجر ونيجيريا، والذي حذر منه خبراء أمنيون منذ سنوات قليلة.

كما أن العمليات العسكرية والغارات الجوية التي شنها الجيش النيجيري، خصوصا في الأعوام الثلاثة الأخيرة، ساهمت في إضعاف بوكو حرام، وخسارتها للعديد من المناطق كان يسيطر عليها في بورنو، الحدودية مع الكاميرون وتشاد والنيجر.

وإثر اقتناعهم أنهم خسروا المعركة أمام داعش في بورنو، بدأ القادة الجدد لجماعة بوكو حرام في البحث عن استراتيجية جديدة لمنع اضمحلال التنظيم.

> إعادة انتشار مسلحي بوكو حرام سيجعل معظم ولايات النصف الشمالي والعاصمة أبوجا تحت التهديد الإرهابي

وكان القرار، إعادة الانتشار في مناطق أخرى بعيدة عن معقلهم في شمال شرق نيجيريا. وقطع عناصر بوكو حرام المئات من الكيلومترات نحو ثلاث ولايات استراتيجية لإعادة هيكلة التنظيم.

أول هذه الولايات "كادونا" (شمال شرق)، تقع على الطريق بين العاصمة أبوجا ومدينة كانو، عاصمة الجزء الشمالي ذو الغالبية المسلمة، والتي من المقرر أن يعبر منها خط أنابيب الغاز "أجاوكوتا – كادونا – كانو"، الذي يعد جزءا من خط الغاز العابر للصحراء نحو أوروبا مرورا بالنيجر والجزائر.

وذكر موقع "فاو" نقلا عن وكالة الأنباء الفرنسية أن نحو 250 عنصرا من بوكو حرام قطعوا المئات من الكيلومترات للانضمام إلى مجموعة إجرامية، تتدرب على استعمال السلاح في غابات "ريجانا شيكون"، في كادونا.

أما الولاية الثانية فهي "سوكوتو"، الواقعة في منطقة الشمال الغربي على الحدود مع النيجر، والتي تنتشر فيها عصابات الجريمة والاختطاف منذ 2017.

وتعد سوكوتو إحدى الخيارات أمام عناصر بوكو حرام لجعلها معقلا جديدا لها، بالنظر إلى وجود بؤر لها في الولاية وصلاتها ببعض العصابات الإجرامية. إلا أن هذه الولاية ينشط بها أيضا عناصر من داعش غرب أفريقيا وتنظيم محلي موال للقاعدة يسمى "أنصارو"، بحسب "مركز صوفان للدراسات".

أما الخيار الثالث بالنسبة إلى القادة الجدد لبوكو حرام، فهو ولاية النيجر، بإقليم الشمال الأوسط، وأهميتها الاستراتيجية تتمثل في قربها من العاصمة، وهذا ما يجعل أبوجا نفسها تحت التهديد الإرهابي مستقبلا، ويجعل بنين المجاورة هي الأخرى تحت تهديد أكبر.

ويسيطر مسلحو بوكو حرام على 8 بلدات من إجمالي 25 في منطقة شيرورو بولاية النيجر. كما أن سيطرة داعش غرب أفريقيا على معظم الشمال الشرقي الذي كان خاضعًا لبوكو حرام سيدفع مسلحي الأخير للانتشار في الشمال الغربي ووسط البلاد وغربها، ما سيجعل معظم ولايات النصف الشمالي من البلاد ذات الغالبية المسلمة تحت التهديد الإرهابي الذي قد يطال العاصمة أبوجا أيضًا.

أي ولاية ستتخذها بوكو حرام معقلا جديدا لها؟